سنة وجرت احوال مختلفة في هذه المدة ثم قيل للقاضي محمد المذكور بعد مملكته واستيلائه
على البلاد ان هشام بن الحكم في مسجد بقلعة رباح فارسل اليه من احضره وفوض الامر
اليه وجعل نفسه كالوزير بين يديه وفي هذه الواقعة يقول الحافظ ابو محمد بن
حزم الظاهري في كتاب نقط العروس اخلوقة لم يقع في الدهر مثلها فانه ظهر
رجل يقال له خلف الحصري بعد نيف وعشرين سنة من موت هشام بن الحكم المنعوت
المؤيد وادعى انه هشام فبويع وخطب له على جميع منابر الاندلس في اوقات شتى
وسفكت الدماء وتصادمت الجيوش في امره واقام المدعي انه هشام نيفا وعشرين
سنة والقاضي محمد بن اسمعيل في رتبة الوزير بين يديه والامر اليه ولم يزل الامر
كذلك الى ان توفي المدعو هشاما فاستبد القاضي محمد بالامر بعده وكان من اهل العلم
والادب والمعرفة التامة بتدبير الدول ولم يزل ملكا مستقلا الى ان توفي يوم
الاحد لليلة بقيت من جمادى الاولى سنة ثلث وثلثين واربعماية ودفن بقصر اشبيلية
وقيل انه عاش الى قريب الخمسين واربعماية واختلفوا ايضا في مبدا استيلائه فقيل
سنة اربع عشرة واربعماية وهو الذي ذكره العماد الكاتب في الخريدة وقيل اربع و
عشرين والله اعلم بالصواب في ذلك كله ولما مات محمد القاضي قام مقامه ولده
المعتضد بالله ابو عمرو عباد قال ابو الحسن علي بن بسام صاحب الذخيرة في حقه
ثم افضى الامر الى عباد سنة ثلث وثلثين وتسمى اولا بفخر الدولة ثم بالمعتضد
قطب رحى الفتنة ومنتهى غاية المحنة من رجل لم يثبت له قائم ولا حصيد ولا
سلم منه قريب ولا بعيد جبار ابرم الامر وهو متناقض واسد فارس الطلا وهو
رابض متهور تتحاماه الدهاة وجبان لا تامنه الكماة متعسف اهتدى ومنبت
قطع فما ابقى ثار والناس حرب وضبط شانه بين قائم وقاعد حتى طالت يده
واتسع بلده وكثر عديده وعدده وكان من اوفى الناس من جمال الصورة وتمام الخلقة
وفخامة الهيئة وسباطة البنان وتقوب الذهن وحضور الخاطر وصدق الحس
مافاق على نظرائه ونظر مع ذلك في الادب قبل ميل الهوى به الى طلب السلطان
ادنى نظر باذكى طبع حصل لتقوب ذهنه على قطعة وافرة علقها من عزيز علمها
ولا امعان في عمادها ولا اكثار في مطالعتها ولا منافسة في اقتنا صحايفها
اعطته سجيته على ذلك ما شاء من تخير الكلام وقرض قطعا من الشعر ذات
وهي في معان اسدته فيها الطبيعة وبلغ فيها الارادة واكتتبها اهل الادب للبراعة
جمع هذه الخلال الظاهرة الجود كف بارى السحاب بها واحتبا د المعتضد في جميع
اشغاله وضروب عزايمه بربيعة وكان اذا كلف بالنساء فاستوسع في اتخاذهن
وخلط في اجناسهن فانتهى في ذلك الى مدى لم يبلغه احد من نظرائه فقيل
انه لتوسعه في النكاح وقوته عليه على كبره انه كان له من الولد نحو العشرين ذكورا
ومن الاناث مثلهم واورد له عدة مقاطيع فمن ذلك قوله وهو معنى مليح
وهو : سترنا وجفن الليل يغسل كحله :: بماء صباح والنسيم رقيق

99

معتقة كالتبر اما بخارها :: فضخم واما جسمها فدقيق
ودون تقدم في ترجمة ابي بكر محمد بن عمار الاندلسي ذكر شي من قصيدتيه اللتين مدح المعتضد
المذكور بهما احديهما بائيه والاخرى ميميه ولولده المعتمد ومدح من جملة ابيات وهي
ممدح يهب الالاف مبتديا :: ويستقل عطاياه فيعتذر
له يد كل جبار يقبلها :: لولا نداها لقلنا انها الحجر
ولم يزل في عز سلطانه واغتنام مساره حتى اصابته علة الذبحة فلم تطل مدة بها
ولما احس بدنو حمامه استدعى مغنيا يغنيه ليجعل ما يبدا به فالا فاول ما غنى
قوله وهو : نطوى الليالي علما ان ستطوينا :: فشعشعيها بماء المزن واسقينا
فتطير من ذلك ولم يعش بعده سوى خمسة ايام وقيل انه ما غنى منها الا خمسة ابيات
وتوفي في يوم الاثنين غرة جمادى الاخرة سنة احدى وستين واربعماية ودفن ثاني
يوم بمدينة اشبيلية رحمه الله تعالى وقام بالمملكة بعده ولده المعتمد على الله
ابو القسم محمد قال ابو الحسن علي بن القطاع السعدي المقدم ذكره في كتابه لمح الملح
في حق المعتمد المذكور انه اندى ملوك الاندلس راحة وارحبهم ساحة واعظمهم
ثمادا وارفعهم عمادا ولذلك كانت حضرته ملقى الرجال وموسم الشعراء وقبلة الآمال
ومالف الفضلاء حتى انه لم يجتمع بباب احد من ملوك عصره من اعيان الشعراء وافاضل
الادباء ما كان يجتمع ببابه ويشتمل عليه حاشيتا جنابه وقال ابن بسام في الذخيرة
وللمعتمد بن عباد شعر كما انشق الكمام عن الزهر لو صدر مثله عمن جعل الشعر صناعة
واتخذه بضاعة لكان رائقا معجبا ونادرا مستغربا فمن ذلك قوله وهو هذا
اكثرت هجرك غير انك ربما :: عطفتك احيانا علي امور
فكانما زمن التهاجر بيننا :: ليل وساعات الوصال بدور
وهذا المعنى ينظر الى قول بعضهم من جملة ابيات
اسفر ضوء الصبح عن وجهه :: فقام خال الخد فيه بلال
كانما الخال على خده :: ساعات هجر في زمان الوصال
وعزم المعتمد على ارسال حظاياه من قرطبة الى اشبيلية فخرج معهن يشيعهن فسايرهن
من اول الليل الى الصبح فودعهن ورجع وانشد ابياتا من جملتها وهي
سايرتهم والليل غفل ثوبه :: حتى تبدى للنواظر معلما
فوقفت ثم مودعا وتسلمت :: مني يد الاصباح تلك الانجما
وهذا المعنى في نهاية الحسن وله في وداعهن ايضا
ولما وقفنا للوداع غدية :: وقد خفقت في ساحة القصر رايات
بكينا دما حتى كان عيوننا :: بجري الدموع الحمر منها جراحات
وهذا ينظر الى قول القائل
بكيت دما حتى لقد قال قائل :: اهذا الفتى من جفن عينيه يرعف
وقد سبق في شعر الابيوردي نظيره ومن شعره ايضا

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)